مشكلات
وقضايا
المجتمع

د.عبد السلام فيلالي

الباحثـــون عن الأمـــل

" بحث في أزمة الهوية لدى الشباب الجزائري من خلال أغاني "الراب" "

تحاول هذه الدراسة توصيف "حالة اجتماعية" متميزة تلازم ظهورها و تطورها مع الأزمة العاصفة التي ألمت بالجزائر على مختلف الصعد (سياسيا، اقتصاديا و ثقافيا) ابتداء من نهاية الثمانينات من القرن الماضي.هذه الأزمة التي يمكن حصر أبعادها في:

- أزمة اقتصادية خانقة كان أبرز مخارجها إعادة جدولة الديون الخارجية سنة 1994،
- أزمة سياسية بلغت ذروتها في جانفي 1992 ودخول الجزائر دوامة العنف الأعمى
- أزمة اجتماعية–ثقافية كان من أبرز عناصرها أزمة هوية تضمنت في جوانبها التشكيك في جدوى العناصر الثقافية الدالة على الشخصية الجزائرية.

إن البعدين الأولين يرتبطان عموما بالأزمة التي شهدتها الجزائر و نموذج الدولة الوطنية كما تم هيكلته بعد الاستقلال مباشرة.

أما عن هذا البعد الثالث الذي هو محل اهتمامنا، فإنه يهمنا على وجه التحديد بارتباطه بفئة الشباب، لأنه و حسب وجهة نظرنا كان الأكثر تضررا من هذه الأزمة:بطالة، عنف، هجرة شرعية و غير شرعية....إلخ. و للتعمق أكثر سوف ندلف عالم نراه أكثر تعبيرا و هو عالم الغناء لدى الشباب في شقه المتعلق بالموجة الجديدة التي جاءت بعد موجة الراي، و يتعلق الأمر بأغاني الهيب هوب.

و سيكون تناولنا ذاهب في تحليل مضمون خطاب أولئك الشباب الذين استخدموا هذا اللون من الغناء كوسيلة للتعبير عما تموج به الأفكار و ما ضاقت به الصدور:الرفض و الاحتجاج و البحث عن آفاق جديدة بديلة مغيِرة.

حول مفهوم "أزمة الهوية"

لا نأخذ مفهوم "أزمة الهوية" في هذا الصدد كتعبير عن وضع انسدادي لا يفرد مسارب أخرى–جديدة للوضع الثقافي الفردي، وسط ضغوطات و إكراهات مجموعية، بل نأخذه كشكل من أشكال التغير الاجتماعي من حيث أن الراهن لا يلبي الحاجات الجديدة لأفراد المجتمع.و نحن نضع في البال المؤثرات الثقافية الجديدة التي وفرتها وسائل الاتصال المبتكرة:الهوائيات المقعرة، أو قل ظاهرة العولمة في شموليتها.

و أيضا مراعاة رؤية تتعلق بأنه لا توجد بنية ثقافية مكتملة مكتفية، و إنما أن كما كل بنية تظل محل تعديل، وفق ما تعنيه كنموذج، أي أن لها صفة النظام، و هو ما يعني ترابط العناصر المكونة له و من ثم في التغير1.

و كذلك و بهذا الصدد، و في تناولنا لمفهوم الهوية فإنه يحيل في ذات الآن إلى مفهوم الثقافة، و لكن بدون تطابقية.و الوازع في هذا أن "الثقافة تنشأ عن عملية لا واعية و أمام الهوية فتحيل إلى معيار انتماء يجب أن يكون واعياً، لأنها، أي الهوية تقوم على تعارضات رمزية"2.

و يمكننا حصر تعريف الهوية من خلال مجموعة المميزات و العوامل التي تجعل شخصا ما، شخصا محددا3، أي عبر تحديد الملامح المميزة له ضمن تشكيلة بشرية، و التي تدفع إلى إبراز خصوصيته كفرد.غير أن هذا التعريف يبقى عاما، إن لم يرتبط بمحددات تشكل أبعاده ضمن المجتمع، لذلك تأتي الثقافة كوعاء محدد لشخصية الفرد، و من ثم يبرز مفهوم الهوية الثقافية كسند لهذه الشخصية، و الذي يمر عبر التكفل بمجموعة من القيم و المعايير و المؤسسات التي بواسطة تكاملها في الحياة الجمعية تشكل المؤشر الأكيد لوفاء الجماعة الاجتماعية للسيرورات الثقافية التي هي من إنتاجه4.و هو بالتالي يبرز كعنصر تعريف و تقوية للشخصية، من حيث أنه مجموع متجاوز للخاصة السياسية5، ما دامت الشخصية كما يعرفها ابراهام كاردينر كحزمة سيكولوجية تسمح بالتكيف مع المحيط و أيضا

---

[1] -Viet, Jean.les méthodes structuralistes en sciences sociales. Edition Mouton. Paris.1963.p 57.

[2]- كوش، دوني.مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية .ترجمة قاسم المقداد.من منشورات اتحاد الكتاب العرب.دمشق.2002 على الموقع الالكتروني :www.awu-dam.org/book/02/study02/335-K-M/ind-book02-sd001.htm ص 96-97

[3] -Dictionnaire Larousse de poche. Librairie Larousse. Paris 1979.Voir Identité.

[4] -Safir, Nadji.Essai d'analyse sociologique. Culture et dévoloppement.Tome 1.OPU.Enal.Alger.1985.p 151.

[5] -Ibid p 152.

مع التربية المكتسبة التي تتشكل بواسطة المحتوى الثقافي، و التي تقيم رابطة باعتبارها بنية من بنية المجتمع6.و لذلك تعرف الهوية على أنها سابقة في وجودها على وجود الفرد[7].

إن هذا يحيل رأسا إلى مسألة الاندماج الاجتماعي و من ثم التكيف الاجتماعي من حيث أن الرفض يعني التهميش و هذا هو شأن كل سلطة بما تحتويه من إكراه و ضبط اجتماعي.

و هو ما يطرح المقاومة و التسليب، ذلك و كما يذهب المدافعون عن المفهوم الذاتي لظاهرة الهوية، من أنه " لا يمكن اختزال الهوية ببعدها الاستنسابي **attributive** و هي ليست هوية مكتسبة بشكل نهائي.والنظر إلى تلك الظاهرة على هذا النحو يعني عدها بمثابة ظاهرة سكونية جامدة تحيل إلى جماعة محددة بشكل ثابت.وهي نفسها غير قابلة للتغير"8، و ها هو الطرح المنبني على تجاوز المقاربة التقليدية للهوية– و خاصة مع النظرية التفاعلية الرمزية– و الذي يحيل إلى تعددية الروابط الاجتماعية للفرد.

و هنا يدخل المفهوم العلاقي و الظرفي للهوية الذي يموضعه داخل إطار أوسع، أي داخل الأطر الاجتماعية، و ذلك من حيث أن الهوية تحدد موقع الفاعلين و توجه تصوراتهم و خياراتهم و من ثم له آثار اجتماعية حقيقية9.

الظروف المصاحبة لنشأة و تطور هذا الفن في الجزائر

إننا و ما دمنا بصدد تناول حالة الجزائر، فإن تمييز الهوية الجزائرية يأخذ معناه من التطورات التاريخية التي جعلت الثقافة الجزائرية تأخذ صيغة محددة، أي نمط العلاقات الاجتماعية المتمأسسة حاضرا في إرجاعها إلى أنساق القيمة و التوجيه المهيكلة لها، أو مما نعبر عنه بمسألة إعادة الإنتاج التي تحكم الواقع الاجتماعي في خضم رموز اجتماعية مؤسِسة، و ذلك في ضوء الاستراتيجيات النزاعية المتناقضة و المتنازعة للقوى الاجتماعية و الدلالة التي تعطيها لقوى أخرى، من خلال أفعالها و مصالحها في سعيها لإعطاء شرعية خاصة بها10.و هو الأمر الذي يجعلنا ندرج موضوع الهوية ضمن الثقافة الوطنية بما هي تعبير عن مداخل اللغة و الدين و التاريخ و العرف و المؤثرات الوافدة.

إنه و منذ الاستقلال أخذت هذه الثقافة الوطنية تتشكل رويدا رويدا وفق أطر قومية و اجتماعية من خلال الخلفية العربية–الإسلامية بإيديولوجية اشتراكية كما نتلمس أبعادها مع الوثيقة التأسيسية لمؤتمر طرابلس 1962 ثم فيما بعد في ميثاق الجزائر 1964، و سوف يظل الأمر متسما بنوع من السكونية من حيث تعريف الثقافة

---

[6] -Bouzar, Wadi. La culture en question.2ème édition.Enal.Alger.1984.pp 66-67.

[7]-كوشي، دوني. ص 98

[8]-المرجع السابق 99

[9]-المرجع السابق 100

[10] - Laacher,Smain. Algérie réalités sociales et pouvoir.l'Harmattan.Paris.1985, p 33.

الجزائرية، بالرغم من أن التناقضات تظل مرسومة بشكل واضح بين مختلف التيارات الإيديولوجية الفاعلة في المجتمع الجزائر:تيار المعربين–الفرونكفونيين– البربريين، تيار الأصالة–الحداثيين، مما جعل الأمور تبدو وكأنها ناجمة عن إرادة واعية للحفاظ على التوازن بين هذه التيارات و بين القوى الاجتماعية الساندة لها.
و لكن الانفجار السياسي–الاجتماعي–الاقتصادي–الإيديولوجي الذي حدث في أكتوبر 1988 قد جعل الأوضاع العامة تأخذ منحى جد مغاير لما عاشته الجزائر طيلة 26 سنة من الاستقلال، و كان من أبرز تجليات هذا التغير هو بروز تعددية سياسية و تبني الاقتصاد الحر و الانفتاح الإعلامي الذي أبان عن توجهات ثقافية فرونكوفونية و بربرية ظلت و طيلة سنوات تمارس حضورا غير فاعل.
و هنا و من خلال هذا الانفتاح تبرز ظاهرة "الهيب هوب" التي نحن بصدد تناولها، فهي و إن لم تكن من حيث الجوهر تختلف عن ظاهرة "الراي"، من حيث أنها ظاهرة شبابية سمتها الاحتجاج و الرفض و تبني "ثقافة الشارع" حسب تعبير الصحافة.
و لو أننا أردنا ربط أولي لهذه الظاهرة مع إشكالية هذه الورقة، أي بأزمة الهوية فسوف نأخذها ضمن مسألة الاندماج الاجتماعي للفرد في المجتمع.فإن الفرد الذي يشعر بثقل و قهر الأبوية التقليدية المتسلطة، سوف يبحث عن وسيلة للتحرر منها بطرح أشكال تعبير مستقلة و مبتكرة، كطريقة عملية لبناء و إثبات ذاته.
و قبل أن نواصل في هذا السياق، نريد أن نعطي تعريفا لفن الراب.
إن مصدره هو موسيقى الهيب هوب التي ظهرت في الولايات الأمريكية في سبعينات القرن السالف، في الأحياء الفقيرة المهمشة للسود، و كان جوهر هذه الموسيقى الاحتفالية و المطلبية و الاحتجاج و الرفض، و هو يحتوي على رواسب عدة لمختلف الأنواع الموسيقية كالجاز و الروك...إلخ.و هو سريعا انتشر في المدن الأمريكية و ثم انتقل إلى دول العالم كافة و منها الجزائر.
و قد واكب ظهوره و بداية انتشاره في الجزائر غمرة التحول المشار إليه سابقا في نهاية الثمانينات و بخاصة في مدينة الجزائر.و بدأت تظهر فرق غنائية من الشباب تتبنى هذا اللون من الفن الذي بدأ يزاحم سطوة الراي على الساحة الفنية الجزائرية، فظهرت فرق Hamma boys و وألبومها الأول "الخرافة الجزائرية و أيضا فرقة Intik و فرقة MBS، هذه الأخيرة التي عرف ألبومها " أولاد البهجة" الصادر سنة 1998 نجاحا كبيرا.و توجد حاليا العشرات من هذه الفرق موزعة عبر التراب الوطني.
و من هذه الفرق فرقة" دوبل كانون" Double kanon التي ظهرت في مدينة عنابة ابتداء من سنة 1997 و التي و عبر ألبومها "كاميكاز" ستكشف عن استثنائية لافتة للنظر لاقت استحسانا منقطع النظر بين الشباب، و سوف ينفصل لطفي عن فرقته هذه و سوف يقيم لنفسه شهرة مركبة فصار يدعى "لطفي دوبل كانون"، و سوف يواصل مسرته التي ستتكلل بكثير من النجاح و كثير من المتاعب.

سيعتبر فن الراب "ثروة الشباب الجزائري "، بما هو محصلة للمؤثرات الجديدة التي شهدها الغرب مع ظاهرة العولمة، و هو اعتبر ملازما للتمرد و الاحتجاج: و سوف "يسعى موسيقيو الراب الجزائريين إلى كسر حاجز الصمت والثورة على واقع الأشياء بلغة جريئة لا تعترف بالموانع، وبعزف ألحان وكلمات تنتقد علنا الأوضاع السياسية والاجتماعية المزرية، و كضد على تردي الوضع الاجتماعي وتفشّي الظلم من جراء غلاء أسعار المواد الغذائية، و فشل النظام التعليمي.ويشرح أنور العضو في فرقة " أم بي أس قائلا:" فهمنا الارتباطات السياسية للأمور، وعرفنا أنَّها تسير في الطريق الخاطئ، لذا تعمدنا في أغانينا مهاجمة هذا الزيف وتسمية الأشياء بمسمياتها حتى نسجلها في الوعي الجمعي."[11].

و ما يميز هؤلاء الشباب هو أنهم ينحدرون من الأوساط الشعبية في الأحياء الفقيرة كما أنهم جميعهم يشتركون في صفة "لي حيطيست" أي العاطلين عن العمل، و هم بالتالي عاجزون عن تلبية متطلباتهم الأساسية:الزواج، السكن...و لذلك تجد فكرة الهجرة عندهم جد مترسخة في وجدانهم..إنهم هؤلاء الباحثون عن سماء أخرى تكفل لهم الحياة السعيدة و الكريمة.

و يعبر أحد مناصري هذا الفن قائلا:"نعم..هو صوت الشعب.ومغنيو الراب هم شهود يكتبون ما يتعرضون له وما يعيشونه وما يرونه.وهم أيضا يقترحون حلولا للعيش أفضل بخصوص البطالة والفساد واظلم الاجتماعي.و أشك في أن يقبل المسئولون التكلم في هذه الحقائق ويعترفون بأخطائهم... إذا نعم الراب هو لسان حال الشباب الجزائري"[12].

باحث عن الأمل:لطفي دوبل كانون.."الجامعي المُهلوس"

أذكر ذلك الشاب الذي كان يجلس كل يوم رفقة صديقه المقرب وهاب في مقهي "لي سونطون" في صيف 1996 و أظنه لما يزل بعد، كانت رؤياه تحيل إلى عدم الاهتمام لما يدور حوله، و لم يكن يحفل بمن برمقه بنظرات شزراء..باختصار كان يمني ناظريه بهزيمة، هو المتمرد.و قد استطاع في أول خرجة له أن يلهب حماس الشباب في إحدى الأماسي الفنية على مسرح الهواء الطلق لصيف 1997، و يصدر في نفس الوقت مع فرقته دوبل "كانون" سيجعل مدينة عنابة توليه اهتمام وأحديث كثيرة، و نقاشات حادة نظرا لما أثارته كلمات أغانيه الفريدة و المختلفة عن كلمات شباب الراي التي لا تستدعي أي تأمل فيها لأنها كلمات بلهاء بلا شحنة عاطفية أو رمزية.

و إذن هو الاختلاف.و المتمعن في كلمات أغاني هذه الفرقة سيجد أنها خليط من الدارجة و الفرنسية، و لذلك فهي جاءت خفيفة على مستمعيها من الشباب ضعيف التكوين الدراسي، و هي تعالج مواضيع تتصل اتصالا بما يمكن أن يستثيرهم،

---

[11] - www.mecca.com/modules/literarycorner/article.php?lang=arabic&id=1831

[12] -http://espritbavard.com/?p=article_detail&article_id=131

حيث تتطرق إلى المرأة و المخدرات و البطالة و "الحقرة" و العنف، أي كل ما يتعلق بعوالم البؤس و الشقاء التي يحيا فيها أولئك الشباب.
ففي الألبوم الأول "كاميكاز" الصادر سنة 1997، تتناول إحدى الأغاني موضوع الشباب، أو "لولاد" بتعبيرهم،،الشباب الذين يقبلون على المخدرات و المهلوسات و الذين هم في حيرة فيدخلون بالتالي في عالم الغياب و العدم:"و لولادِ غير ساكرة ديما مبزقا و ديما زاطلة"نتيجة الفقر "الفقر داير بيا و الناس تحكي عليا" "و نشيخ بالعربية و ديما نهز تحتي بيا **pia** ".و هما لا يجدون أي لاجدوى من التعليم، و يتذمرون من غلاء المعيشة و تدهور قيمة الدينار.فيتكون الحسرة العميقة:"اللي قدك داروا لعط و انت راقد طول عالخط"، و أيضا التأسف، إذ يتعين هذا على الشاب أن يستفيق قبل الغرق في عالم المخدرات و لاداعي للافتخار المدمر حينما يخاطب الناس:"راني بيان **bien** راني لاباس..محلا العيشة في لحباس محلا القرعة زيد الكاس" إذ:"و إذا حاب ما تتوخد مالا روح امشي قدقد" و إلا مصيرك السجن.
و تصف إحدى الأغنيات شابا منحرفا:""وولحمو بلوشام ووجهو بللماس تبدع" فهو:""اليوم يشري طرف و من اليوم يعود يدرح"..و هكذا يدخل عالم بيع و تهريب المخدرات و يصبح في حكم الهارب من الشرطة..و لما يقبض عليه يدفع الثمن وحده.و لكنه هو الضحية حين يطرح التسائل عن مصدر هذه المخدرات:" "و شكون اللي يدي الباي باه السلعة تجي من مغنية"، و لذلك سوف يعتبر أولئك الشباب كانتحاريين إذ يقبلون على الموت: "كاميكاز لولاد لي قاعدة تبيع فالريح..لولاد لي دير فالعط باه لعباد تروح تشيخ".
و في أغنية "آني كونتر" في ألبوم كوبابل الصادر في سنة 2005، تقول هذه كلمات هذه الأغنية الأغنية:

آني كونتر هذ لبلاد لي ليوم قاعدة تفسد
ما يهمنيش يكون شخصية ولا يكون رايس تاع حزب.....
مالا قولية وعلاه الظلم اهو داير بينا
الحقرة تقتل فينا كي سيكلون تاع كاترينا
تالمون لقتيلة والهم كتر علينا
زطلة ولات تتباع اكتر من الخبز في كارتينا
و الهدرة بالسكينة و الشعب ولا مسكين
...
الزوالي وولادو ب لي سيكاتريس
نخيط بالابرة الجرح جامي يبرا
باه يغفلونا راحو جابولنا الكيف ومعاه الغبرة
....
اني كونتر لفساد كونتر هادوك لعباد
.....

و في وصفه لنوع الغناء الذي يؤديه تقول إحدى الأغنيات: راب تاع زواولة

راب تاع زواولة
هدايا راب تاع زواولة الي حياتهم مورا **mora**
شعب اليوم معانا كل مونتر لاكامورا
روح جيب الكومبا زيد جيلي–بال
شارجيه أو مانوفريه
وانديماريه أونفورس راني مشارجيه آفون
ف الدنيا يا تكون صغير يا تكون مكلاسي معا لي قران **grands**
سينو **Sinon yekraziwek** سورتو الوقت عدا
شعب نتاعنا حنا ما بقاش يتغر دوك بالماندا
هادايا راب تاع زواولة ما بقاش يرجع لاورا
معمول لولاد الشعب يديرو بيه لهنا ثورة
مالا ارواح احشر لاكامورا مع دورة
مادام الدنيا مظلمة و **la justice** ولات اللاورة
مصاورة في الحيط ميزان **on équilibre**
Pourtant les jeunes اليوم ماش هوم ليبر
اللي حاب يدير حاجة بقولولو طول ماكانش
باه يعود يطايش يروح بعيد مايبانش
وعلاه ولاد الكلب يديروك كيما كا
قولي كيفاح ندير باه نحي شي عادة
شي عادة ناس بزاف خايفين و ساكتين
رايسانهوم هابطين و يديهوم مرابعين
راك بعيد قالولي راك تربح فالعيب
كي تبقى تهدر هاك يكسروك و تولي عايب
ماعليهش خلي ولاد الشعب اليوم يسمعو
كي نشوف الظلم يدور برا قدام عيني
نحب نخرج طول نكسر بيدي
نبينولهوم بلي ولاد الزواولة هنا عندهوم فالراس
ماشهوم دي سوفاج و ماشهوم تاع دي كاج
أغنية "كالكو بار" **qlq part**
كالكوبار كاين واحد قاعد يسوفري قاعد وحدود يما يبكي

أزمة الهوية..أو مجتمع بلا هوية

إنه من خلال هذه العينة التي أردنا من خلال تجلية مضامين الخطاب لهذا النوع الغنائي الشبابي:أي "الراب"، فإنه بوسعنا الخروج بتمييز له من حيث ما يريد إيصاله من رسالة.حيث وعبر الاحتجاج و الرفض يبرز خطاب التسليب تجاه المجتمع، و تبني "اللاإنتماء" و المغايرة في إبراز الشخصية أمام التمثلات الاجتماعية السائدة، و أخذهم ثقافة "الشارع" كثقافة بديلة للثقافة المعيارية التي تعبر

عنها المدرسة، و من ثم التأسيس لواقع البديل من أجل تحقيق الأمل المفقود و ذلك وضع حد لـــ: "البطالة و الفساد و الظلم الاجتماعي" كما يعبر أحد ممثليها.
و ليس الأمر ها هنا صراع بين القيم الجديدة و القيم القديمة في أثناء بروز ظاهرة "الراب"، فلقد صاحب التحول الذي جاء بعد أكتوبر 1988، نزوع من قبل غالبية الشباب نحو التيارات الدينية.و لذلك كان أولئك الشباب الذي اعتنقوا ثقافة الراب المتمردة و الاحتجاجية، يمثلون شريحة اجتماعية يمكن تحديد ملامحها العامة من حيث أنها تعبير عن الثقافة الهامشية، المرفوضة، المنبوذة و غير المقبولة بصفة عامة من المجتمع.
ليس الأمر يتعلق بمسألة الخلاص، و كيف أن أزمة الهوية قد جعلت الشباب ينتبهون إلى وسائل مبتكرة في التعبير و إسماع الصوت.إن هذا جزء من المسألة، و لكنه يتعلق بصيرورة تاريخية هامة تحكم تطور المجتمع الجزائري تتحكم فيها على وجه الخصوص التغيرات العامة المفاجئة و العنيفة التي شهدها في نهاية و بداية الثمانينات و المتسمة بالأزمة الاقتصادية و السياسية و الأمنية.
و كغيرهم من فئات المجتمع الجزائري، وجد الشباب أنفسهم عند مفترق الطرق، و ذلك لأن الثقافة السياسية التي تطبع عليها الجيل السابق و التي يمكن وسمها ب"الثقافة الرسمية" لم تعد تعطي إجابات ملمة بالواقع و تستجيب للتطلعات الجديدة.بل بدا الأمر في إحدى جوانبها كمحاولة "انتزاع حقوق" ترفض "الدولة" منحها للشباب بحجة أنهم غير مؤهلين بعد.و هو ما يعكسه المحتوى الاحتجاجي لتلك الأغاني:

كي نشوف الظلم يدور برا قدام عيني
نحب نخرج طول نكسر بيدي
نبينولهوم بلي ولاد الزواولة هنا عندهوم فالراس
ماشهوم دي سوفاج و ماشهوم تاع دي كاج

لقد صار الأمر مع الشباب يعني أنه ليس يوجد ما يحقق الذات عبر المؤسسات الاجتماعية:المدرسة، وسائل الإعلام.و لذلك صار تحقيق الذات يعني الابتعاد عنها سواء عبر "الفن الهامشي" أو في الملاعب الرياضية، أو بالهجرة القانونية منها و غير القانونية.لقد بدا الأمر مع الأزمة المتعددة الأوجه، و كأن الشاب صاروا موضع رفض من المجتمع، حيث رسمت له صورة له نمطية:الذي يسهر طويلا و لا ينهض باكرا و لا يريد العمل، و هو أيضا الذي ينتظر من أبيه أن يعطيه "المصروف".باختصار لقد تم لفظ الشاب، لأنه عاجز عن تدبير شئون نفسه.و حتى هو بشهادته الجامعية، فإن الأمر سيان لا يغير من جوهر العلاقة.إن الأمر إذن في التجليات العامة لعلاقة الشاب مع الجماعة الصغيرة المحيطة به يشي بعدم الفهم، و لذلك و هو العاجز عن التدبير المادي لوضعه الاجتماعي يتعين عليه أن يجد وسيلة تخلصه من وضع المنبوذ، و هنا يكون القرار جاهزا للخروج من الدائرة الضيقة جدا إلى فضاءات أوسع.

قد يكون الانحراف و العنف، قد تكون المخدرات، قد يكون المغالات في التدين، إلى ما هنالك من وسائل الهرب و البحث عن مخرج.و لننظر في بعض مقاطع أغنية "كرهو" (2003)

تلقى الحيط معبي اللي والا راه متكي
يضحك معاك بصح أوفون **au fond** قاعد يبكي
قاعد يخمم اليوم برك واش راح يدير
كيفاش يجيب النهار و امبعد كيفاه راح يجيب الليل
شحال يبانو طوال هادوك **les 24 heures**
Surtout كي يعود **jeune**، **surtout** كي يعود **chomeur**
بصح عمرك آهو قاعد ينشف قطرة قطرة
هكاك فالفيد حياتك مسكينة تغيض
و المشكل الكبير سي كو ما عندك شي ما دير
يدينا مربوطين بسيف عليك و علاديك
les jeunesكلهم كرهو مرضو تعدبو
تحقرو تحرقو م هاد البلاد آهم هربو
و تشوف بعينيك **des jeunes**كانو لاباس
و مبعد تقلبوا صراتلهم **des pressions nerveuses**
تشوفو مسكين فالطريق يحكي وحدو
Pourtant كان **normal** صحيح بصحتو
دوركا آهو بزاف كيفو اللي طاحو
كاين اللي قطع يديه و كاين اللي حرق روحو
كي تصقصي واعلاه صرات هاد **l'histoire tragique**
سباييها **lmoral** و **la soufrance psychologique**
آهي تعذب **c logique...la routine**
تخايل تنوض كول اليوم و ما عندك شي ما تعمل
ت'سوحا روحك **libre** تقيل و عاطل
تعود تقول آني عايش لهنايا باطل
و فوق هادا ما نحكيوش عا المصروف
عل الناس اللي قاعدة تخدم و انت قاعد تشوف
على باباك اللي كول يوم يجيب القضية بعرقو
و انت تغيضك و تحشم حتى تقابلو
و **le piiiiiiiiire** ...اللي قاعد يصير
تسمع تكدب تبقى محتار شحال تحير
des ingenieurs كبار ما الدمار آهم بكاو
ما لقاو باه يعيشو غير نصبة تاع كاوكاو
تشوكاو(**choc**)..ومبعد **choc** يجي المرض

يقول واش قاعد ندير فوق هاد لرض
و بزاف لُخرين اللي حاجة أخرى صراتلهوم
جاو يقتلو الوقت علاخر الوقت هو اللي قتلهم
قبل ما ماتو سمعوهم صحابهم يقولو
واش من فايدة نعيش ما دام ما ندير في والو
و شوف أنا **des jeunes** قالو يزِينا
حياتنا موشها مزينا و بزاف آهي حزِينة
حبينا ننساو علينا الهدرة
كل ليلة نجيبو القارو و معاها القطرة الخضرة

بطبيعة الحال ليس الأمر مع هذه الجمل المعبرة عن بؤس عميق هو التطابق التام مع الواقع الاجتماعي، و لكن الأكيد أن غياب الأفق سوف يسحب من الذات ما تسميه إليه التفاعلية الرمزية:"الرضا عن الذات" و "تحقيق الذات"، و هذا ما يعني حدوث انفصال بين بين الفرد و مجتمعه و سوف تكون القطيعة على مستوى التمثلات و الأدوار التي منتظر منه أن يؤديها الشاب.

و قد يتقدم الرأي لمقابلة هوية هذا الفن في الجزائر و بين مثيله في الدول الغربية، حيث أشرنا فيما سبق من أن أصوله تعود إلى سياقات ثقافية تبدو ظاهريا مشابهة للظروف التي لازمت ظهوره و انتشاره عندنا، و لكن الأمر إذا وضع على قيد القيم فإنه سيظهر و قد لبس لبوسه الخاص به.و هذا هو شان أي قيم اجتماعية، وذلك أن القيم المميزة لأي نموذج ثقافي هي في صميمتها تحمل أصالة نابعة من المجتمع ذاته.

و لذلك حينما تم تبيئة فن الراب في الجزائر، صاحبته تلك السمات الثقافية المحلية التي ميزت الجزائر و هي تدخل مرحلة الأزمة المتعددة الأبعاد.و سوف تبدو لغته، و كأنها وجدت المنشأ الملائم، إذ تلقى الكلمات الفرنسية في هذه الأغاني مكانتها و كأنها محفورة حفرا في اللغة الدارجة الجزائرية على غرار هذه الصياغة " **la soufrance psychologique**"، و هذا ما أتاحته المثاقفة التي تولدت إبان الفترة الاستعمارية.

و لهذا تأتي لغة أغاني الراب في عمومها لتعمق في أزمة الهوية عند أصحابها، و هي على كل حال من أزمة الهوية في الجزائر التي تتنازع بين مقاربات تيار العروبة الخالصة و دعاة الانفتاح على اللغة الفرنسية بالتحديد.و قد تجاوزنا من جهتنا هذا الإشكال الثقافي، فمن رأينا الانكباب على مضمونية الخطاب تحليله.

حقرة **c'est la meme histoire** حكاية وحدة دور
les memes probleme من بكري حتى ن اليوم
شي ما تبدل لعباد الكل قاعدة تقدم
غير هاد لبلاصا باقية تريب باقية تتهدم
Pourtant صحاب السياسة دارو برامج
مولة لكتاف آهو عايش و الزوالي راح يطايش

اللي عندو معريفة حياتو تعدي خفيفة ظريفة
ليماعندوش كيماه يبقى حي ولا يولي جيفة
الحقرة ترسمت لبلاد صايي تقسمت
اللي فوق مهني و ولد الشعب التحت آهي حصلت
الحقرة ترسمت البلاد صايي تقسمت
اللي فوق مهني و ولاد الشعب التحت راهي حصلت
خسرت ما بقاتش عندها نفحة باش تعيش
لبلاص دي وشراوها ولاد لي ريش
ماش بالصوارد بصح بالقوة و زيد البوفوار
آفار تاع مصاليح و رشوة فوق الكونتوار
قداه من واحد سرق قداه من واحد آده
شعب فهم اللعبة عمبالو بلي حنا
كاين الحقرة كاين الظلم كاين السرقة
كاين الهم كاين الشر كاين الرشوة
كاين مام لي ظلموه جامي شاف الحق
كاين مام اللي حقروه و بعثوه يتعارك
كاين قداه من واحد مالحقرة اليوم تقاسو
كاين اللي ظلموه و سحتوه من بلاستو
خرجوه مالخدمة خاطاك شافوه مسكين ساكت
اليوم آهو لبرة فالطريق وحدو ساكن
وكاين من لي جون اللي فسدوه وحلقوه
قالولو كاين **formation** و الدخلة بالكونكور
يدير دوسييه ورقة لقمة و **les photos**
يروح يرفيزي و يخاف لا الوقت يفوتو
و يعقب ليقزامان ويقول سور راح ننجح
باباه يفرح و أمو تقولو نشالله تربح
تكلح كيشاف **resultat** قريب هبل
لا ليست تاع الناجحين آهي مخدومة من قبل
ياخي تقبل واشبيك تنحا ولا تلعب فاها
العفسة لي شوفناها عشنا باها
تخمم مليح تلقاهوم الكل مادابيهوم
يكتر شوماج و الزوالي يبقى جاهل

تبدو رسالة هذا المقطع عاكسة للخطاب العام الذي تكرسه أغنية الراب، و رغم أننا لا نقع في ورطة التعميم و إسباغ الواقعية عليه، من حيث أننا نركز عليه كخطاب مهتم بذاته وبوضعه و ليس في تعبيره عن الواقع الاجتماعي.و هذه الرؤية تجعلنا

نأخذه كانعكاس لذات رافضة متعالية على واقعها، متهمة أياه بالحيف و الظلم و غياب العدالة، مؤنبة أياه لتقصيره و عجزه عن حل مشاكل "المحقورين".
إننا لا نرفع هذا الخطاب إلى مرتبة الأدب، لسبب أولي بسيط و هو أن الأدب يكون أدبا للغته التي تنخرط في جمالية شعرية كانت أو نثرية.و حينما تناولناه فمن باب أنه يشكل ظاهرة اجتماعية، وقد تبدى الأمر في سياق التحليل و الاستقصاء أن أزمة الهوية فيه هي لا تقوم على انفصال مع الواقع من حيث أنه لا يستجيب لتطلعات الشباب، و إنما في الصعود أعلى و أعلى إلى درجة سيبدو فيه الوضع و كأنه احتقار للواقع ذاته الذي يريدون تغييره و إصلاحه.و إذا بحثنا في سبب هذا، لقلنا أن مرده هو المثاقفة التي تضع الثقافة الأصلية في وضع التشكيك و التخلف و بالتالي تطالبها بالتخلي عن قيمها الخاصة لتنخرط في القيم الجديدة.و قد يمكننا استعادة ظاهرة المثقافة مع ظهور النخبة المفرنسة في بداية القرن الماضي، فنذكر عابرا التي دعت علنا إلى تبني القيم الغربية (رابح زناتي نموذجا لهذه النخبة).حيث أن الملاحظ في ما يميز ممتهني فن الراب من حركتهم على الركح و طريقة اللباس، أنهم يبتعدون تمام الابتعاد عن ممتهني فن الراي الذي يتضمن في علاماته آهات محلية.و لهذا أمكننا القول أن خطاب الراب، هو خطاب غربي في 90 بالمائة من مظاهره و سماته.و لهذا تراه يجتهد كل الاجتهاد في الاقتراب من اللغات الأجنبية (الفرنسية على وجه التحديد)، كما تبينه هذه المقاطع:

قالولو كاين **formation** و الدخلة بالكونكور
يدير دوسييه ورقة لقمة و **les photos**
يروح يرفيزي و يخاف لا الوقت يفوتو
و يعقب ليقزامان ويقول سور راح ننجح

و لذلك نسأل ما هوية هذا الخطاب، أليس البحث عن حل هو الوقوع في مشكلة أوسع.قد يقال أنها سمة الدارجة عموما، و جوابنا و هل الشعر الملحون ليس دارجة، و هو رغم هذا يفرد شعرية مقبولة و جمالية محفوظة له.

خاتمة

لم نتناول ظاهرة الراب في أوساط الشباب كي نذمها و نصبغ عليه كل صنوف الزيغ و الاغتراب، و إنما أخذناها لكي نشير إلى عدم ارتباطها بالواقع الجزائري رغم أنها تتفاعل فيه.و السبب ليس اللغة فقط و إنما لأنه ينطلق منه، أي من الواقع كي لا يعود إليه.
و أزمة الهوية عنده مؤديه و من يتلقونه تقوم على الانسلاخ من الواقع الجزائري، رغم سعيهم الدءوب على تحديد مقاصده في الرفض و التغيير و السعي إلى وضع أفضل.و قد يقول قائل، هذه ظاهرة موجودة في البلاد العربية الأخرى.أجل و لكنها في تعابيرها العامة تعكس المجتمع و لا تتعالى عليه و لا ترفضه.